القسم الأول: مراسلات

الجزء الأول: مراسلته لابن عمه الوجيه خالد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن أحمد آل عبدالقادر

هذه الأبيات للشيخ عبدالله بن علي ، كتبها جواباً لكتاب بعث به ابن عمه خالد بن عبدالعزيز عندما كان متواجداً في جزيرة "أوال" عند آل خليفة، وقد تضمن الكتاب سلاماً إلى الشيخ من آل خليفة.

ورد ا لكتـــــاب فيـــــا لـــــه مـــــن وارد ... بـــــل الصـــــدى مـــــن قلبـــــي الحـــــران

قـــــد قمـــــت إجـــــلالا لـــــه لمـــــا أتـــــى ... وجعلتـــــه يـــــا صـــــاح نصـــــب عيـــــاني

ودرســـــته يـــــومي وســـــائر ليلتـــــي ... شـــــوقا إليـــــك دراســـــة القـــــرآن

فكأنـــــه زهـــــر النجـــــوم نظمتهـــــا ... فـــــي كـــــل ســـــطر أو مزيـــــد جمـــــان

أو عقـــــد غانيـــــة حـــــلا فـــــي جيـــــدها ... مـــــا بـــــين يـــــاقوت إلـــــى مرجـــــان

أومثـــــل أنفـــــاس النســـــيم إذا ســـــرى ... يهـــــدي أحاديـــــث النقـــــا والبـــــان

يـــــا مـــــن ترحـــــل فـــــي طـــــلاب معاشـــــه ... نـــــاء عـــــن الأهلـــــين والأوطـــــان

عـــــش مـــــا تشـــــاء منعمـــــا فـــــي ظـــــل مـــــن ... ضـــــربوا القبـــــاب علـــــى أبـــــي زيـــــدان

مشـــــتاهم بطـــــن الصـــــخير مـــــن الحمـــــى ... ومصـــــيفهم فـــــي قلعـــــة الـــــديوان

قـــــوم لهـــــم فـــــي كـــــل حـــــي نعمـــــه ... كالغيـــــث يســـــقي ســـــائر البلـــــدان

مســـــح الإلـــــه علـــــى النواصـــــي مـــــنهم ... فهـــــم الملـــــوك بمســـــحة الـــــرحمن

وإذا مـــــدحت وليـــــدهم فـــــي مهـــــده ... أعطـــــى التمـــــائم ضـــــاحك الأســـــنان

والله لـــــولا أن يقولـــــوا شـــــاعر ... والشـــــعر يـــــزري بـــــالفتى الربـــــاني

ســـــرحت طرفـــــي فـــــي ريـــــاض مـــــديحهم ... وتركتـــــه يجـــــري بغيـــــر عنـــــان

ثـــــم انثنيـــــت مترجمـــــا عنهـــــا ولـــــي ... فيهـــــا لســـــان بـــــارع التبيـــــان

أمليـــــت حتـــــى ملـــــت الأقـــــلام مـــــن ... طـــــول المســـــير علـــــى ظهـــــور بنـــــاني

حتـــــى إذا لـــــم يبـــــق طـــــرس أبـــــي ... أقبلـــــت أمليهـــــا علـــــى الحيطـــــان

هـــــذا وإنـــــي مـــــا بلغـــــت عشـــــير مـــــا ... حـــــازوه مـــــن حســـــن ومـــــن إحســـــان

لكـــــن سأشـــــكركم علـــــى طـــــول البقـــــا ... حتـــــى يغيـــــب فـــــي الثـــــرى جثمـــــاني

فعلـــــيهم منـــــي الســـــلام تحيـــــة ... تغشـــــاهم بـــــالروح والريحـــــان

الجزء الثاني: مراسلاته مع أحمد عزت العمري

كان الباشا أحمد عزت العمري متصرفاً على الأحساء من قبل الدولة العثمانية، وكان له ولع بالأدب، وشغف كبير بمُجالسة العلماء ومنادمتهم، وقد سمع كثيراً عن الشيخ عبدالله بن علي ولكنه لم يره، وكان الشيخ يتحرج من الذهاب إليه لاشتغاله بالعلم ورغبته في العزلة، ولكنه اضطر في مرة من المرات للذهاب إلى الحاكم، لرفع مظلمة عن أحد المزارعين في بساتين والده، وهناك التقى بالباشا ، ورفع مظلمة الفلاح، ثم أعطى الباشا الشيخ عبدالله بن علي هذين البيتين، وطلب منه تخميسهما:

إن المـــــذاهب كالمناهـــــل فـــــي الهـــــدى ... والمـــــرء مثـــــل الـــــوارد الظمـــــآن

والـــــنفس إن رويـــــت بـــــأول منهـــــل ... غنيـــــت بـــــلا كـــــره لشـــــرب الثـــــاني

فقال رحمه الله تعالى مُخمساً:

نـــــور تـــــبلج كالصـــــباح إذا بـــــدا ... بعـــــث الإلـــــه بـــــه النبـــــي محمـــــدا

مـــــازال يظهـــــر فـــــي نجـــــوم الاقتـــــدا ... إن المـــــذاهب كالمناهـــــل فـــــي الهـــــدى

والمرء مثل الوارد الظمآن

نعمـــــانهم والأصـــــبحي بمنـــــزل ... ماكـــــان عنـــــه التاليـــــان بمعـــــزل

أنهـــــارهم تجـــــري كعـــــذب سلســـــل ... والـــــنفس إن رويـــــت بـــــأول منهـــــل

غنيت بلا كره لشرب الثاني

وقال رحمه الله مخمساً البيتين أيضا:

يـــــا ســـــالكا وجـــــد الطريـــــق تعـــــددا ... خـــــذ مـــــا تشـــــاء فســـــوف تـــــأتي المقصـــــدا

واحـــــــــذر وقوفـــــــك حيـــــــرة وتـــــــرددا إن المـــــــــذاهب كالمناهـــــــل فـــــــي الهـــــــدى

والمرء مثل الوارد الظمآن

فـــــإذا نزلـــــت مـــــن الحمـــــى فـــــي منـــــزل لا ألفينـــــــك عـــــــن ســـــــواه بمعـــــــزل

الحـــــــــــر لا يبقـــــــــــى رهينـــــــــة أول والـــــــنفس إن رويـــــــت بـــــــأول منهـــــــل

غنيت بلا كره لشرب الثاني

وقال مضمناً للبيتين المذكورين أيضاً:

الله أكبـــــــــر تلـــــــــك أمـــــــــة أحمـــــــــد خصـــــــت بـــــــــدينٍ أشـــــــرف الأديـــــــان

بنيـــــت شـــــرائعه علـــــى التســـــهيل فـــــي الـــــ أحكـــــــام تخفيفـــــــاً علـــــــى الإنســـــــان

علماؤنـــــــا كالأنبيـــــــا فـــــــي شـــــــرعنا يقضـــــــون فيـــــــه بموجـــــــب التبيـــــــان

والخلـــــــف بيـــــــنهم يقينـــــــا أنـــــــه فـــــــي حقنـــــــا مـــــــن رحمـــــــة الـــــــرحمن

إن المـــــــذاهب كالمناهـــــــل فـــــــي الهـــــــدى تنهـــــــل مـــــــن ســـــــننٍ ومـــــــن قـــــــرآن

طابـــــــت مشـــــــاربها لكـــــــل موفـــــــق دانـــــــى الرشـــــــاد موثـــــــق الاذهـــــــان

أوفـــــى عليهـــــا وهـــــي عـــــذب كلهـــــا والمـــــرء مثـــــل الـــــوارد الظمـــــآن

اجتـــــاز منهـــــا مـــــا يليـــــه ولـــــم يقـــــف يختـــــار فيهـــــا وقفـــــة الحيـــــران

والـــــنفس إن رويـــــت بـــــأول منهـــــل فلهـــــا الهنـــــاء بكاســـــها المـــــلآن

لا تخـــش مـــن ظمـــإٍ علـــى طـــول المـــدى مـــن بعـــد ذات المنهـــل الريـــان

لا بـــــاس إن تـــــدع الـــــورود فإنهـــــا غنيـــــت بـــــلا كـــــره لشـــــرب الثـــــاني

هـــــذا الـــــذي مـــــا شـــــك فيـــــه عاقـــــل طـــــب بأخـــــذ الحكـــــم والبرهـــــان

خـــــذها إليـــــك قلائـــــدا فصـــــلها بالـــــدر واليـــــاقوت والمرجـــــان

ألفتهـــــــا والقلـــــــب منـــــــي قلـــــــب والكـــــــف لفتهـــــــا يـــــــد الهجـــــــران

لا غـــــــرو إن أبصـــــــرت خلفـــــــي مادنـــــــا فثنيـــــــت فـــــــي نظـــــــري إليـــــــه عنـــــــاني

لـــــــو نلـــــــت مـــــــا نـــــــال الخلـــــــي تركتـــــــه يكبـــــــو ورائـــــــي دائـــــــم الخفقـــــــان

ثم أنشا الباشا أحمد عزت العمري هذه القصيدة، في نديم له من علماء الأحساء، وهو الشيخ العلّامة عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل عمير، وطلب من الشيخ عبدالله بن علي معارضتها:

ســـــــقاها الهـــــــوى بـــــــاللوى صـــــــرخدا وشـــــــوقها الرعـــــــد لمـــــــا حـــــــدا

وأرقهـــــــا البـــــــرق فـــــــي ليلـــــــة تـــــــردد مـــــــن الجـــــــون فـــــــي أســـــــودا

تعـــــــاني مـــــــن الوجـــــــد أنواعـــــــه وتطـــــــوي الفـــــــلا فدفـــــــداً فدفـــــــدا

تحـــــــن إلـــــــى أثـــــــلات الأثيـــــــل وتطلـــــــب مـــــــن مائـــــــه مـــــــوردا

تـــــــروم النقـــــــا بـــــــل ظبـــــــاء النقـــــــا فنفســـــــي لتلـــــــك الظبـــــــاء الفـــــــدا

لقـــــــد صـــــــيرتني أعـــــــاني الســـــــها د وأرعـــــــى الصـــــــباح إلـــــــى أن بـــــــدا

فيـــــــا ظبيـــــــة قـــــــد رعـــــــت بالعذيـــــــ ـــــــب عـــــــرارا فغـــــــذي بقطـــــــر النـــــــدى

أنيلـــــــي نـــــــوالا وجـــــــودي لنـــــــا بوصـــــــل يبـــــــل الحشـــــــا والصـــــــدى

فقـــــــد بلغـــــــت نفســـــــي المنتهـــــــى وجرعهـــــــا الصـــــــبر كـــــــاس الـــــــردى

فمـــــــا أنـــــــا ممـــــــن يقاســـــــي العنـــــــا ولا مـــــــن يلـــــــين لكيـــــــد العـــــــدا

بعيـــــــد المنـــــــال قريـــــــب النـــــــوال كـــــــريم الجـــــــدود كثيـــــــر الجـــــــدا

فلـــــــي همـــــــة قرنـــــــت بالســـــــها وزانـــــــت برونقهـــــــا الفرقـــــــدا

كمـــــــا زان آل عميـــــــر الـــــــورى بعلـــــــم وفعـــــــل بعيـــــــد المـــــــدى

ألـــــــــم تـــــــــر أن عبـــــــــد اللطيـــــــــف ســـــــــاجل فـــــــــي شـــــــــعره أحمـــــــــدا

يـــــــــروم العبـــــــــور ببحـــــــــر العـــــــــروض وإن كـــــــــان تيـــــــــاره مزبـــــــــدا

أديـــــــــب تـــــــــردى بثـــــــــوب الكمـــــــــال وجـــــــــر علـــــــــى النـــــــــاس فضـــــــــل الـــــــــردا

ويـــــــــورد أفكـــــــــاره صـــــــــادراً ويصـــــــــدر فـــــــــي الأمـــــــــر إن أوردا

وأقلامـــــــــه إن أراد القـــــــــريض تراهـــــــــا لـــــــــه ركعـــــــــا ســـــــــجدا

ويـــــــــنظم مـــــــــن شـــــــــعره جوهـــــــــراً فينتثـــــــــر الـــــــــدر إن أنشـــــــــدا

فـــــــــلا زال فـــــــــي ذاتـــــــــه مفـــــــــردا كمـــــــــا صـــــــــرت فـــــــــي مدحـــــــــه مفـــــــــردا

فأجابه الشيخ عبد الله بن علي بقوله:

عـــــــــداها وحقـــــــــك عمـــــــــا بـــــــــدا تـــــــــذكرها بـــــــــالوى معهـــــــــدا

دعاهـــــــــا الهـــــــــوى فاســـــــــتجابت لـــــــــه وبالســـــــــفح أنجزهـــــــــا موعـــــــــدا

ســـــــــقاها علـــــــــى أثـــــــــلات الأثيـــــــــل بعـــــــــذب العـــــــــذيب ومـــــــــا صـــــــــردا

وأوجـــــــــدها وهـــــــــي فـــــــــي بابـــــــــل شـــــــــميم العـــــــــرار فمـــــــــا أبعـــــــــدا

وطـــــــــاف بهـــــــــا طيفـــــــــه ســـــــــحرة فواعجبـــــــــا منـــــــــه أنـــــــــى اهتـــــــــدى

تهـــــــــيم بنجـــــــــد وأوطانـــــــــه كـــــــــأن بنجـــــــــد لهـــــــــا مولـــــــــدا

إذا هبـــــــــت الـــــــــريح تلقـــــــــاءه ســـــــــحيراً تصـــــــــوم عليهـــــــــا غـــــــــدا

تحـــــــــن إليـــــــــه حنـــــــــين العشـــــــــار لفقـــــــــد الحـــــــــوار إذا أبعـــــــــدا

فيـــــــــا ضـــــــــاحك البـــــــــرق مـــــــــن أفقـــــــــه كوجـــــــــه الكـــــــــريم إذا اســـــــــترفدا

ظمئـــــــــت إليـــــــــك ألا فاســـــــــقني فقـــــــــد أنضـــــــــج القلـــــــــب حـــــــــر الصـــــــــدى

ويـــــا ســـــاجعا فـــــوق أفنانـــــه ... يهـــــيج القلـــــوب إذا مـــــا شـــــدا

إذا جـــــس مزهـــــر أحشـــــائه ... يـــــذكر إســـــحاق أو معبـــــدا

طروبـــــا ببهجـــــة أوطانـــــه ... رياضـــــا غـــــذين بقطـــــر النـــــدى

نســـــيت هـــــديلا فلـــــم تبكـــــه ... وقـــــد أوبقتـــــه صـــــروف الـــــردى

أليـــــف مضـــــى لـــــم يحـــــن عهـــــده ... وخنـــــت العهـــــود فتبـــــت يـــــدا

أغـــــرك هـــــذا النعـــــيم الـــــذي ... وإن طـــــال لابـــــد أن ينفـــــدا

ألـــــيس فتـــــى العبـــــد لمـــــا وفـــــى ... يعهـــــد الحبيـــــب بكـــــى همـــــدا

طلـــــولا كمـــــا خـــــط ذو فكـــــرة ... علـــــى الثـــــوب قـــــد أصـــــبحت همـــــدا

ولـــــم يبكهـــــا لا ولكـــــن بكـــــى ... عهـــــودا تقضـــــت وإلفـــــا عـــــدا

يفـــــوه الحمـــــام بـــــدعوى الغـــــرام ... ومـــــا إن أقـــــام لهـــــا شـــــهدا

ومـــــا كـــــل مـــــن قـــــال نســـــمع لـــــه ... إذا لبغـــــى بعضـــــنا واعتـــــدى

حملنـــــا قضـــــايا مقالاتـــــه ... علـــــى أصـــــل قـــــيس هـــــو المقتـــــدى

فخالفـــــت الأصـــــل لا تســـــمعوا ... مقالاتـــــه يـــــا قضـــــاة الهـــــدى

فحلـــــي الرقـــــاب وحســـــن الخضـــــاب ... ينـــــافي الخطـــــاب الـــــذي أوردا

فيـــــا مـــــدعي مـــــذهبي فـــــي الهـــــوى ... فـــــإن أخـــــا الحـــــق مـــــن أســـــعدا

تعـــــال أقاســـــمك حمـــــر الـــــدموع ... وجمـــــر الضـــــلوع إذا اســـــتوقدا

وقـــــرب الســـــقام وبعـــــد المنـــــام ... وطـــــول المـــــلام وقـــــول العـــــدا

ومـــــس الطـــــوى واغـــــلا فـــــي القـــــوى ... وهيهـــــات لـــــي أن أرى مســـــعدا

فلـــــــــولا قـــــــــدوم فتـــــــــى عـــــــــزة ... تســـــــــميه أخلاقـــــــــه أحمـــــــــدا

لودعـــــــــت أرضـــــــــي وســـــــــكانها ... وحاولـــــــــت فـــــــــي الأفـــــــــق لـــــــــي مصـــــــــعدا

أخـــــــــو همـــــــــة أوجبـــــــــت رفعـــــــــه ... علـــــــــى الفاعليـــــــــة والابتـــــــــدا

أديـــــــــب فألفاظـــــــــه لؤلـــــــــؤ ... تســـــــــاهمه القـــــــــوم فـــــــــي المنتـــــــــدى

تواضـــــــــع للنـــــــــاس لكنـــــــــه ... هـــــــــو الســـــــــيف يخشـــــــــى وإن أغمـــــــــدا

أتتنـــــــــا علـــــــــى اليمـــــــــين أبياتـــــــــه ... عروســـــــــا تجـــــــــر ذيـــــــــول الـــــــــردا

عليهـــــــــا قلائـــــــــد مـــــــــن أنجـــــــــم ... بمنظومهـــــــــا جيـــــــــدها قلـــــــــدا

شـــــــــربنا علـــــــــى وجههـــــــــا قهـــــــــوة ... حكـــــــــى لونهـــــــــا وجنتـــــــــي أغيـــــــــدا

تـــــــــرد الشـــــــــباب علـــــــــى ذي المشـــــــــيب ... وتعطيـــــــــه هيآتـــــــــه أمـــــــــردا

نـــــــــافس فـــــــــي كأســـــــــها الناســـــــــكو ... ن يمانيـــــــــة لـــــــــم تكـــــــــن صـــــــــرخدا

وقمنـــــــــا جميعـــــــــا علـــــــــى ســـــــــوقنا ... لبســـــــــط الأكـــــــــف ورفـــــــــع النـــــــــدا

دعـــــــــاء لـــــــــدولتنا بالبقـــــــــاء ... وحســـــــــن القضـــــــــاء لكـــــــــي نســـــــــعدا

فهـــــــــاك قريضـــــــــا لـــــــــه بهجـــــــــة ... كوجـــــــــه الحبيـــــــــب إذا شـــــــــوهدا

يســـــــــيل علـــــــــى رقـــــــــه رقـــــــــة ... ويحلـــــــــو بـــــــــه طعـــــــــم مـــــــــن أنشـــــــــدا

وتحكـــــــــي عذوبـــــــــة ألفاظـــــــــه ... نســـــــــيم العـــــــــراق إذا مـــــــــا غـــــــــدا

بـــــــــدا مـــــــــن أخـــــــــي همـــــــــة قـــــــــد ســـــــــمت ... بهـــــــــا انتعـــــــــل النســـــــــر والفرقـــــــــدا

لـــــــــه ســـــــــلف أوقـــــــــدوا نـــــــــارهم ... فمنهـــــــــا استضـــــــــا كـــــــــل مـــــــــن أوقـــــــــدا

علـــــــــى أنـــــــــه لـــــــــم يـــــــــزل دهـــــــــره ... يعوقـــــــــه عـــــــــن بلـــــــــوغ المـــــــــدى

عســـــى نفحـــــة مـــــن إلـــــه الســـــما ... ء بعطـــــف الختـــــام علـــــى المبتـــــدا

وصـــــلى المهـــــيمن ربـــــي علـــــى ... نبـــــي الهـــــدى المصـــــطفى الســـــيدا

بـــــه الأرض كانـــــت طهـــــورا لنـــــا ... وقـــــد جعلـــــت كلهـــــا مســـــجدا

كـــــذا الآل والصـــــحب والتـــــابعو ... ن ومـــــن قـــــد قفـــــا أثـــــرهم واقتـــــدي

وعُرضت على الباشا أبيات الشيخ عبدالله بن علي التي يقول فيها:

شـــــددت رحـــــالي للنخيـــــل ولـــــم أكـــــن ... شـــــددت رحـــــالي للتنـــــزه والثمـــــر

ولكننـــــي حـــــدثت أن بهـــــا فتـــــى ... يحـــــل محـــــل الســـــمع منـــــي والبصـــــر

فأقبلـــــت مـــــن أهلـــــي إليـــــه لعلنـــــي ... أراه فـــــأطفي مـــــا بقلبـــــي مـــــن شـــــرر

ومـــــن نـــــازع الأشـــــواق يومـــــا فإنـــــه ... سيصـــــبح مغلوبـــــا أطـــــال أم اقتصـــــر

فاستحسنها الباشا، وشطرها بقوله:

شـــــددت رحـــــالي للنخيـــــل ولـــــم أكـــــن ... أميـــــل إلـــــى لطـــــف الريـــــاض أو الشـــــجر

بلـــــى لأداء الواجبـــــات لراشـــــد ... شـــــددت رحـــــالي للتنـــــزه والثمـــــر

ولســـــت بميـــــال إلـــــى غصـــــن النقـــــا ... ولا لحمـــــام الأيـــــك فـــــي الايـــــك إن هـــــدر

ولكننـــــي حـــــدثت أن بهـــــا فتـــــى ... أحاديثـــــه تزهـــــو علـــــى الـــــدر والـــــدرر

توشـــــح قلبـــــي فـــــي هـــــواه لأنـــــه ... يحـــــل محـــــل الســـــمع منـــــي والبصـــــر

وكـــــم لـــــي وإيـــــاه أكيـــــد محبـــــة ... ربطـــــت بهـــــا حبـــــل الـــــوداد مـــــن الصـــــغر

فأقبلـــــت مـــــن أهلـــــي إليـــــه لعلنـــــي ... ألاقـــــي زمانـــــا لـــــيس فـــــي صـــــفوه كـــــدر

ويـــــا ليتنـــــي فـــــي عـــــين فكـــــري وخـــــاطري ... أراه فـــــأطفي مـــــا بقلبـــــي مـــــن شـــــرر

فكـــــم أجـــــج البعـــــد المبـــــرح فـــــي الحشـــــا ضـــــرام غـــــرام أحـــــرق القلـــــب والفكـــــر

ومـــــن نـــــازع الأشـــــواق يومـــــا فإنـــــه يطـــــول بـــــه ليـــــل الهمـــــوم علـــــى قصـــــر

ومـــــن راح مشـــــغوفا بطـــــول حنينـــــه سيصـــــبح مغلوبـــــا أطـــــال أم اقتصـــــر

فعـــــذرا لصـــــب أحـــــرق الوجـــــد قلبـــــه وبـــــات لـــــدى جمـــــر الغـــــرام علـــــى ســـــقر

وقد كتب الشيخ عبدالله بن علي، بهذه الأبيات، إلى الباشا أحمد عزت العمري، ليخفف من أعباء الشيخ راشد آل مبارك، ويرفق به:

أربـــــع خطـــــاك لظـــــالع يقفـــــو الأثـــــر وارفـــــق بطفـــــل قـــــد تغـــــذى بالكـــــدر

فـــــابن اللبـــــون وإن تطـــــاول فـــــي الســـــرى فلـــــه عـــــن البـــــزل القنـــــاعيس القصـــــر

لا ســـــيما إذ كـــــان باعـــــث جريـــــه فحـــــل الفحـــــول ومـــــن تســـــلل مـــــن عمـــــر

الجزء الثالث: مراسلاته مع الشيخ العلّامة عبدالعزيز بن حمد آل مبارك

قال الشيخ عبدالله بن علي أبياتاً، منها:

يـــــا نســـــمة الإصـــــباح ســـــيري بلغـــــي أهـــــل العجائـــــب فالفـــــدا تســـــليما

وتلقفـــــي أخبـــــارهم وتعرفـــــي مـــــن بـــــات مـــــنهم للغـــــرام كليمـــــا

قـــــولي لـــــه وف الهـــــوى أربابـــــه يـــــا ســـــيدي إذ كنـــــت إبراهيمـــــا

أو مـــــا علمـــــت وأنـــــت عـــــالم وقتـــــه أن الـــــدجى حـــــق لهـــــن قـــــديما

ولأنـــــت نعـــــم المقتـــــدى فاشـــــرح لنـــــا تأويـــــل فعلـــــك إن ثـــــم خصـــــوما

واحكـــــم لمثلـــــي بالوفـــــاء مســـــجلا أن لا أكـــــون علـــــى الوفـــــاء ملومـــــا

واعـــــزم علـــــى الســـــالين ألا يصـــــحبوا يـــــوم النـــــوى فـــــي العاشـــــقين نـــــديما

فأجابه الشيخ عبد العزيز بن حمد:

أنسيم فجر الوصل طبت نسيما ... أحييت صبا للغرام غريما

ولقد عبرت وعن عبير عبرت ... أنفاسك اللاتي عبقن شميما

أخلق بأن يبقى الوجود مخلقاً ... أو أن يصح نسيمك المسقوما

هذاك شيخي يرتضيك مبلغاً ... عنه إلى أحبابه التسليما

ويصر في ردنيك منه تحتة ... حسد المدام رحيقها المختوما

عجباً له في قوله : وتعرفي ... من بات منهم للغرام كليما

مع علمه أنا بأنعم ليلة ... والسعد خادمنا وكان عليما

في مجلس زان النادامى أفقه ... وبدوا به للناظرين نجوما

من كل رقراق الثياب مهذب ... حلو الشمائل لن تراه ملوما

لا يعشقون سوى المكارم والعلا ... ما منهم من لاتراه كريما

لا تملك الخفرات فضل حلومهم ... فهم الجبال الراسيات حلوما

مع أنهم عمروا الصبا بخلائق ... كالزهر والاه الغمام سجوما

يا حاكما بالليل للبيض الدمى ... مهلا بحكمك وارقب التحكيما

من أين تنصف في الحكومة بعدما ... صادت حبائلهن منك حليما

ورمين قلبك من قسى حواجب ... بسهام فتكك أعقبته سهوما

وأجدن سلبك بالقدود نواعما ... وخلبن قلبك بالحديث رخيما

علق النفيس فدتك نفسي إنني ... بك قد نفست على الورى تعظيما

وترامت الأشواق بي وجزعت من ... فقد التلاقي ما ارتكبت عظيما

وأتيـــــت مـــــن هـــــذر الكـــــلام بجملـــــة أصـــــبحت فيهـــــا للفضـــــول نـــــديما

فأقـــــل عثـــــارى واطـــــرح لـــــي زلتـــــي لازلـــــت بـــــدراً بالكمـــــال زعيمـــــا

حاشـــــا لوجهـــــك أن أراه معبســـــاً ولمثـــــل عهـــــدك أن يكـــــون ذميمـــــا

وفي يوم من الأيام، كان الشيخ عبدالله بن علي مع أصحابٍ له في رحلة إلى البساتين، فأرق بالليل، وقد أرق أيضاً الشيخ عبدالعزيز بن حمد، فالتفت الشيخ عبدالعزيز فوجد الشيخ عبد الله مستنداً إلى نخلة يقلب نظره في السماء ينتظر الصباح، وعندها قال الشيخ عبد الله ارتجالا:

يـــــا أيهـــــا المفتـــــون بـــــالبيض الـــــدمى أنهـــــاك لا تصـــــحب ســـــوى المفتـــــون

إن الشـــــجي متـــــى يصـــــاحب خاليـــــا عـــــاد الشـــــجي بصـــــفقة المغبـــــون

وتـــــرى الخلـــــي ينـــــام مـــــلء جفونـــــه جـــــذلان لا يلـــــوي علـــــى المغبـــــون

هذه الأبيات للشيخ عبدالعزيز بن حمد يمدح فيها أسرة آل عبدالقادر، ويخص منهم الشيخ علي، وابنه الشيخ عبد الله:

ذكـــــر الربـــــع وأهليـــــه فأنـــــا وشـــــجاه البـــــارق الســـــاري فحنـــــا

وغريـــــب الـــــدار يخلـــــو بالأســـــى والصـــــبابات إذا مـــــا الليـــــل جنـــــا

يـــــا أخـــــي يـــــا عابـــــد الـــــرحمن يـــــا منجـــــدي يـــــا مســـــعدي حســـــا ومعنـــــى

يـــــا ســـــميري فـــــي الهـــــوى إذ لافتـــــى منـــــك أولـــــى بالوفـــــا فـــــيمن علمنـــــا

قـــــم فطـــــارحني أحاديـــــث الهـــــوى وارو لـــــي أخبـــــار عفـــــراء ولبنـــــى

أســـــفاه لشـــــباب ينقضـــــي عـــــاطلا مـــــن وصـــــل ريـــــا القـــــد حســـــنا

طـــــال ليلـــــي فـــــي "أبـــــي ظبـــــي" ولا ظبـــــي لـــــي فيـــــه يضـــــاهي البـــــدر حســـــنا

أقصـــــر الليـــــل بـــــه مقتطفـــــا ثمـــــر اللـــــذات مـــــن هنـــــا وهنـــــا

مـــــن أقـــــاح حولـــــه الـــــورد إلـــــى ... نـــــرجس مـــــن فـــــوق تفـــــاح أبنـــــا

فهـــــــو إنســـــــان وبســـــــتان وإن ... شـــــئت كـــــان البـــــدر والظبـــــي الأغنـــــا

إن رنـــــا جـــــرد ســـــيفا فاتكـــــا ... أو تثنـــــى هـــــز مـــــن عطفيـــــه لـــــدنا

ويرينـــــي اللؤلـــــؤ الرطـــــب كمـــــا ... شـــــئت منظومـــــا متـــــى يضـــــحك ســـــنا

وكمـــــا فـــــي الثغـــــر فـــــي النحـــــر وإن ... رمتـــــه نثـــــرا فعنـــــد اللفـــــظ يجنـــــى

وإذا قبلتـــــــــــه مرتشـــــــــــفا ... ريقـــــه قلـــــت بـــــذا أســـــكر جفنـــــا

وإذا غازلـــــــت غازلـــــــت رشـــــــا ... وإذا عانقتـــــــه عانقـــــــت غصـــــــنا

ويرينـــــي مـــــا نضـــــا البرقـــــع عـــــن ... وجهـــــه كيـــــف تبـــــدى الشـــــمس وهنـــــا

وإذا أرســـــــــل جـــــــــثلا واردا ... فـــــوق متنيـــــه أرانـــــي الليـــــل مثنـــــى

أهيـــــف الخصـــــر ثقيـــــل ردفـــــه ... أتلـــــع الجيـــــد رقيـــــق الأنـــــف أقنـــــى

حرمـــــت نهـــــداه والـــــردف علـــــى ... قمصـــــه تمساســـــها ظهـــــرا وبطنـــــا

فـــــإذا مـــــا ســـــعدنا ألفنـــــا ... واطرحنـــــا العتـــــب والإعتـــــاب عنـــــا

وتجاذبنـــــا حواشـــــي ســـــمر ... هـــــل رأيـــــت الـــــروض والعـــــود المرنـــــا

أخـــــذ الدلـــــة مـــــن كانونهـــــا ... بشـــــمال وأدار الكـــــاس يمنـــــى

وانبـــــرى يســـــكب مـــــن ياقوتـــــه ... فـــــي لجـــــين الكـــــاس مـــــا نســـــميه بنـــــا

كلمـــــا أنعـــــم بالكـــــاس مـــــلا ... مثلهـــــا مـــــن طرفـــــه الســـــاجي فثنـــــى

أنـــــا أشـــــرب بالكاســـــين والثـــــا ... لـــــث الثغـــــر فمـــــا أحلـــــى وأهنـــــا

وســـــعدنا وشـــــقي حاســـــدنا ... بالتئـــــام واعتنـــــاق كيـــــف شـــــئنا

فـــــإذا مـــــا الشـــــهب للغـــــرب انتحـــــت ... مثـــــل أســـــراب القطـــــا يطلـــــبن وكنـــــا

وتغشـــــــــــاه الكـــــــــــرى وســـــــــــدته ... ســـــــــاعدي ثـــــــــم تعانقنـــــــــا وبتنـــــــــا

آمنـــــــــين العـــــــــار والإثـــــــــم فـــــــــلا ... عبـــــــرت بـــــــي فرحـــــــة تعقـــــــب حزنـــــــا

يـــــــا لهـــــــا أمنيـــــــة لـــــــم تعـــــــدها ... منيتـــــــي إلا إلـــــــى أســـــــنى وأســـــــنى

نفحـــــــــــة قدســـــــــــية تســـــــــــعدني ... رضـــــــا الله الـــــــذي أغنـــــــى وأقنـــــــى

وترقـــــــي رتبـــــــة فـــــــي العلـــــــم مـــــــن ... دونهـــــــا المـــــــريخ بالأعمـــــــال تســـــــنى

وســـــــمو فـــــــي العـــــــلا تصـــــــحبه ... قـــــــدرة بالمـــــــال والحـــــــال لأهنـــــــا

ولقـــــــاء الأصـــــــحاب مـــــــن كـــــــل فتـــــــى ... حســـــــن الأخـــــــلاق بالفضـــــــل معنـــــــى

كأصـــــــــــيحاب أناجيـــــــــــب لهـــــــــــم ... أصـــــــبح المجـــــــد كمـــــــا تشـــــــاءوه قنـــــــا

ورثـــــــوه كـــــــابرا عـــــــن كـــــــابر ... وســـــــيقى بعـــــــدهم إرثـــــــا للآبنـــــــا

فـــــي الكـــــرام الخـــــزرج الزهـــــر ســـــما ... لهـــــم أصـــــل أفـــــاد الفخـــــر ضـــــمنا

شـــــــــابهت أحســـــــــابهم أنســـــــــابهم ... ونـــــــداهم لعلاهـــــــم صـــــــار قرنـــــــا

حملـــــــوا العلـــــــم فزانـــــــوه تقـــــــى ... وحمـــــــوا جانبـــــــه ذبـــــــا وصـــــــونا

أوطنـــــــوا الأحســـــــاء فارتاحـــــــت بهـــــــم ... واكتســـــــى الـــــــدهر بهـــــــم زينـــــــا وحســـــــنا

حســـــــبهم فخـــــــرا علـــــــي وابنـــــــه ... فلقـــــــد فاقـــــــا علـــــــى الأقصـــــــى والآدنـــــــى

وفتـــــــى صـــــــالح النـــــــدب الـــــــذي ... طـــــــاب خلقـــــــا وصـــــــفا قلبـــــــا وذهنـــــــا

إننـــــــي صـــــــب بهـــــــم لا أرتضـــــــي ... بـــــــدلا مـــــــنهم ومـــــــن أيـــــــن وأنـــــــي؟

كـــــم أويقـــــات صـــــفا طابـــــت لنـــــا ... بهـــــم والـــــدهر مغضـــــي الطـــــرف عنـــــا

وهنيهـــــــــات ســـــــــرور كلمـــــــــا ... عـــــن لـــــي تـــــذكارها للقلـــــب حنـــــا

"بالقبيليـــــــــات" لا زالـــــــــت بهـــــــــم ... جنـــــــة منهـــــا ثمـــــار الخيـــــر تجنـــــى

"والفـــــــدا" نفســـــــي لأهليـــــــه الفـــــدا ... إنـــــــه للأنـــــــس والأفـــــــراح مغنـــــــى

حـــــــف بالأشـــــــجار والنخـــــــل فمـــــــا ... شـــــئت فيـــــه مـــــن ثمـــــار يتســـــنى

والعـــــــريش الرحـــــــب مـــــــن غرربيـــــــه ... روضـــــــــة أزهارهـــــــا الآداب غنـــــــا

كـــــم هصـــــرنا فيـــــه أغصـــــان المنـــــى ... ولنـــــــــوار الفكاهـــــــــات اقتطفنـــــــا

ليـــــت شـــــعري والنـــــوى طـــــال متـــــى ... باجتمـــــــاع الشـــــمل فـــــي ذاك نهنـــــا

وأراه قـــــــد زهـــــــا فـــــــي جيـــــــده ... عقـــــد مجـــــد مفـــــرد مـــــنهم ومنـــــا

يـــــا نـــــداماي بـــــذياك الحمـــــى ... بلـــــغ الله بكـــــم مـــــا نتمنـــــى

امزجـــــوا الكـــــاس بـــــذكرى مـــــا صـــــفا ... لكـــــم يومـــــا كمـــــا مـــــر فـــــأنى؟

واقـــــرأوا منـــــي علـــــى ســـــاقي الفـــــدا ... عـــــاطر التســـــليم أفـــــرادا ومثنـــــى

وصـــــــلاة الله مـــــــا بـــــــرق بـــــــدا ... أو شـــــدا الـــــورق ومـــــا الـــــودق ارجحنـــــا

وســـــــلام مثلهـــــــا يتـــــــرى علـــــــى ... خـــــاتم الرســـــل الـــــذي للـــــدين ســـــنا

وكـــــــذاك الآل والأصـــــــحاب مـــــــن ... شـــــــيدوا ملتـــــــه ركنـــــــا فركنـــــــا

هذه أبيات كتبها الشيخ عبد العزيز بن حمد إلى الشيخ عبدالله بن علي:

البـــــين صـــــدك لا أن تشـــــحط الـــــدار ... ومـــــدمع العـــــين فـــــي الحـــــالين مـــــدرار

يـــــا آســـــر القلـــــب جبـــــرا فـــــي محاســـــنه ... أمـــــا لمكســـــور قلبـــــي منـــــك جبـــــار

علمـــــت قلبـــــي مقصـــــورا عليـــــك ومـــــا ... لـــــي فـــــي محبـــــتكم مـــــا عشـــــت إقصـــــار

فهـــان عنـــدك ظلمـــي فـــي الهـــوى وكـــذا ... الأمـــن يغـــري وذو الأشـــجان صـــبار

هـــب أننـــي لســـت أهـــلا للوصـــال ولـــم ... تطـــب لكـــم بـــي عشـــيات وأســـحار

ولا زهـــت لـــي مـــن أيـــامكم غـــرر ... كأنهـــا فـــي ســـواد العـــيش أقمـــار

ولـــم أطـــارحكم ألحـــان ذي شـــجن ... كـــم حـــان منهـــا لمـــن فـــي الحـــان إســـكار

إذا تلاهـــا تلاهـــا الأنـــس متبعـــا ... وكـــم تلاهـــى بهـــا صـــيد وأحبـــار

ولـــم يـــرقكم رقيـــق مـــن رقـــيقكم ... . بحســـن العهـــد أســـمار

فـــإن فـــي المنحنـــى مـــن أضـــلعي لكـــم ... بيـــت وأنـــتم لـــه مـــذ كـــان عمـــار

فكيـــف هانـــت علـــيكم أن تضـــرم فـــي ... بيـــت بكـــم عـــامر يـــا ســـادتي النـــار

يـــا خالعـــا لعـــذار العـــذر فـــي عـــذلي ... عنـــى فلـــي عـــنكم فـــي الحـــب أعـــذار

شـــاني بهـــم لشـــجوني فـــي عظـــيم جـــوى ... بـــاد لهـــم فـــي شـــؤوني فيـــه أشـــعار

كـــم رضـــت قلبـــي فـــي روض الســـلو فلـــم ... يرقـــه منـــه ولا أرضـــته أزهـــار

ومـــا علقـــت بقطـــان "الشـــوادن" كـــي ... يعـــاملوني بمـــا أهـــوى وأختـــار

لا لا ولكننـــي راض ومغتـــبط ... بحـــبهم عـــدلوا فـــي الحكـــم أم جـــاروا

فافقـــه حـــديث معـــان فـــي البيـــان لهـــا ... اســـتخدام كـــل بـــديع فيـــه أســـرار

أحبابنـــا هـــذه الأيـــام فـــي يـــدها ... مـــاض لســـمط نبـــال الوصـــل بتـــار

فـــلا وحاشـــا كـــريم مـــن شـــمائلكم ... يكـــن لـــه مـــنكم عـــون وأنصـــار

يـــا أيهـــا المعـــرض الغضـــبان هـــا خبـــري ... وقـــد كفـــى مـــا جـــرى والأمـــر أقـــدار

بحـــق عصـــياني اللاحـــين لا تـــرهم ... فـــي الوامـــق الصـــب مـــا شـــاءوه واختـــاروا

وهـــــب لســـــابقتي الآصـــــار أجمعهـــــا ... إن كـــــان ثـــــم ويـــــأبى الله آصـــــار

فـــــإنني ذلـــــك النـــــدب الـــــذي لكـــــم ... وللعـــــلا منـــــه إظهـــــار وإضـــــمار

ومـــــن أشـــــاد لكـــــم بيـــــت الـــــولاء فـــــلا ... يكـــــن جـــــزاءي مـــــا لاقـــــي ســـــنمار

منـــــي الســـــلام علـــــيكم مـــــا أضـــــاء بكـــــم ... أفـــــق وآخـــــي بكـــــم للفضـــــل إســـــفار

أو رنحتنـــــــــــــي أرواح ونشـــــــــــــركم ... فـــــي طيهـــــا أو وفـــــت بالعهـــــد أحـــــرار

ومما كتب الشيخ عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالله ، عندما كان في نزهة مع بني عمه في بعض البساتين:

قـــــد انتظمـــــوا فـــــي فضـــــل ســـــلك قـــــلادة ... وكلهـــــم وســـــطي فناهيـــــك مـــــن عقـــــد

ويـــــوم ســـــرقناه مـــــن الـــــدهر خلســـــة ... وللـــــدهر غفـــــلات بهـــــا الأنـــــس يقـــــدر

بفتيـــــان مجـــــد لا يشـــــق غبـــــارهم ... همـــــام شـــــأى شـــــأواهم بـــــل يقصـــــر

أقـــــاموا علـــــى حفـــــظ الأخـــــوة والصـــــفا ... وحظهـــــم مـــــن رقـــــة الطبـــــع أوفـــــر

يقولـــــون نحـــــن إذ يقـــــول كثيـــــر ... "ومـــــن ذا الـــــذي يـــــاعز لا يتغيـــــر"

مقـــــاول ســـــادات وصـــــيد يـــــزينهم ... دماثـــــة أخـــــلاق وفصـــــح ومنظـــــر

دعانـــــا إلـــــى بســـــتانه ماجـــــد لـــــه ... مقـــــام وســـــبق فـــــي العـــــلا لـــــيس ينكـــــر

فلمـــــا غـــــدونا حـــــول بســـــتانه إذا ... بـــــه جنـــــة الـــــدنيا لمـــــن كـــــان يبصـــــر

وفينـــــا زعـــــيم القـــــوم حامـــــل بنـــــدهم ... وقـــــد كـــــاد رســـــم القـــــوم فـــــي النـــــاس يـــــدثر

ومـــــا زال يحـــــدونا إلـــــى الله ســـــيره ... فســـــرنا ولكـــــن المظـــــاهير تســـــتر

ترانـــــا وقوفـــــا حـــــول حانـــــة قربـــــه ... فمـــــن وارد منـــــا وآخـــــر يصـــــدر

فحـــــين رأى أنهـــــاره وغياضـــــه ... وأعجبـــــه أترجـــــه وهـــــو مثمـــــر

أشـــــار بـــــأن صـــــفه لصـــــحبي بهديـــــة ... فقلـــــت وهـــــل عـــــن أمـــــره متـــــأخر

"وأترجـــــة خضـــــراء ماســـــت غصـــــونها ... بهـــــا ثمـــــر قيـــــد النـــــواظر أصـــــفر

لهـــــا الله أغصـــــانا كـــــأن ثمارهـــــا ... قناديـــــل لاحـــــت فـــــي دجـــــى الليـــــل تزهـــــر

تـــــذكرت لمـــــا أبصـــــرتها نـــــواظري ... وهـــــل ينفـــــع الصـــــب الكئيـــــب التـــــذكر

عروســـــا تهـــــادى بيننـــــا فـــــي حليهـــــا ... عليهـــــا رداء مـــــذهب الوشـــــى أخضـــــر)

فيالـــــك مـــــن يـــــوم ســـــررنا بأنســـــه ... نـــــدبر زجاجـــــات مـــــن الوصـــــل تســـــكر

مضـــــى وانقضـــــى مـــــا شـــــأنه غيـــــر أنـــــه ... قصـــــير ويـــــوم الوصـــــل لا شـــــك يقصـــــر

بلـــــى نـــــأي عبـــــدالله تـــــالله غاضـــــه ... ونـــــأي أهيـــــل الفضـــــل عنـــــا يكـــــدر

فبـــــالله عجـــــل بالوصـــــال مبـــــادرا ... فلـــــم يبـــــق صـــــبر عـــــن لقـــــاك فنصـــــبر

فـــــديتك واستصـــــحب عليـــــا فـــــإنني ... أرى الأنـــــس مقرونـــــا بـــــه حـــــين يحضـــــر

وتربيـــــك مـــــن لـــــو لـــــم يكونـــــا بســـــيد ... قـــــد امتزجـــــا لـــــم يـــــذكرا حـــــين تـــــذكر

وأهـــــدي صـــــلاة للبشـــــير كقـــــدره ... علـــــى أن قـــــدر المصـــــطفى لـــــيس يقـــــدر

أيقـــــدر والـــــروح الأمـــــين بقربـــــه ... إليـــــه علـــــى كـــــل الملائـــــك يفخـــــر

كـــــذا الآل والصـــــحب الأكـــــارم مـــــن لهـــــم ... أيـــــاد وفضـــــل بـــــاهر لـــــيس يحصـــــر

كان الشيخ راشد بن عبد اللطيف آل مبارك قد دعا الأسرتين، آل مبارك، وآل عبد القادر، للاجتماع في النخيل، فزيّن الشيخ عبد العزيز مجلسهم بهذه القصيدة:

لطـــــائف الأنـــــس فـــــي طـــــي المقـــــادير ... فـــــاغنم إذا لاح منهـــــا وجـــــه تيســـــير

فـــــإن رأيـــــت ثمـــــار الوصـــــل دانيـــــة ... فـــــلا أراك أخـــــا عجـــــز وتقصـــــير

مـــــا أمكنـــــت فرصـــــة الإمكـــــان ذا أرب ... فمـــــال عنهـــــا لتســـــويف وتـــــأخير

يـــــا حبـــــذا ليلـــــة جـــــاد االزمـــــان بهـــــا ... حســـــبتني نلـــــت فيهـــــا ملـــــك ســـــابور

الأنـــــس يبســـــم فـــــي أرجائهـــــا طربـــــا ... والســـــعد يهتـــــف فيهـــــا بالتباشـــــير

حيـــــث اجتمعنـــــا بمـــــن تـــــذكار وصـــــلهم ... أشـــــهى لنـــــا مـــــن وصـــــال الخـــــرد الحـــــور

هـــــم البحـــــور نـــــدى بـــــل والبـــــدور عـــــلا ... بـــــل والصـــــدور بتوريـــــد وتصـــــدير

رقـــــت شـــــمائلهم طابـــــت أوائلهـــــم ... صـــــفت منـــــاهلهم عـــــن وصـــــف تكـــــدير

مـــــن كـــــل منتـــــدب بالمجـــــد مكتفـــــل ... وكـــــل أروع واري الزنـــــد تشـــــمير

لـــــو شـــــئت مـــــدحهم أملـــــت فضـــــائلهم ... علـــــى مـــــا لـــــم يكـــــن يومـــــا بمحصـــــور

داع مـــــن الرشـــــد أمســـــى هاتفـــــا بهـــــم ... إلـــــى بســـــاط مـــــن اللـــــذات منشـــــور

راحـــــوا ملبـــــين فـــــي الآثـــــار دعوتـــــه ... إلـــــى جنـــــاب رفيـــــع الشـــــأن مشـــــهور

بـــــين الفـــــدا وعجيبـــــات نـــــداولها ... ملاعـــــب غـــــاب عنهـــــا شـــــاهد الـــــزور

أكـــــرم بهـــــا ليلـــــة مـــــا كـــــان أجـــــدرها ... منـــــي بـــــذكر لحســـــناها وتســـــطير

فالوصـــــل متصـــــل والصـــــد منفصـــــل ... والوقـــــت مبتســـــم عـــــن ثغـــــر مســـــرور

ومطـــــرب الحـــــي يشـــــدو فـــــي رقائقـــــه ... ومـــــا الغـــــريض إذا غنـــــى بمـــــذكور

وفـــــي الغصـــــون بقايـــــا نشـــــوة عرضـــــت ... مـــــن الصـــــبا إذ روت عـــــرف الأزاهيـــــر

وبلبـــــل الـــــدوح يتلـــــو مـــــا تلقنـــــه ... مـــــن الغـــــرام فمـــــا صـــــوت المزاميـــــر

والأفـــــق طلـــــق وســـــاقينا يـــــداولنا ... دم اليعـــــافير فـــــي كاســـــات بلـــــور

والصـــــبح مـــــذ أدركتـــــه غيـــــرة حنـــــق ... مـــــن جـــــنح ليـــــل بـــــذاك الوصـــــل معمـــــور

فجـــــاء مســـــتعجلا طلـــــق العنـــــان وقـــــد ... وافـــــى بـــــذنب لـــــدينا غيـــــر مغفـــــور

كنـــــا بنـــــور وصـــــال فـــــي الـــــدجى فـــــأتى ... بنـــــوره فـــــأزاح النـــــور بـــــالنور

يـــــا رب فاجعـــــل ليالينـــــا مفصـــــلة ... بمثـــــل ليلتنـــــا يـــــا خيـــــر مشـــــكور

الجزء الرابع: مراسلته مع الشيخ عبدالرحمن بن عبد اللطيف آل موسى

قال الشيخ عبدالرحمن بن عبد اللطيف، لما بلغه أن زوجة الشيخ عبدالله بن علي صارت أختاً له من الرضاع:

الصـــــبر يحمـــــد فـــــي العواقـــــب للفتـــــى ... والعبـــــد يرضـــــى قســـــمة الـــــرحمن

والمـــــرء فـــــي الـــــدنيا الهمـــــوم تصـــــيبه ... فتكـــــون تمحيصـــــاً لعبـــــد جـــــان

والمتقـــــون يـــــزداد فـــــي مقـــــدارهم ... أهـــــل الصـــــفا والـــــود والعرفـــــان

فلـــــذا يـــــزاد علـــــى المتقـــــي بـــــلاؤه ... لينـــــال ترجيحـــــا لـــــدى الميـــــزان

فاصـــــبر لنكبـــــات الزمـــــان ولاقهـــــا ... بالجـــــد والتســـــليم والســـــلوان

كـــــم كـــــان إلـــــف فاتـــــه مألوفـــــه ... فاعتـــــاض إلفـــــا مثـــــل غصـــــن البـــــان

ولكـــــم لطـــــائف للإلـــــه بخلقـــــه ... فتبـــــارك المـــــولى عظـــــيم الشـــــان

تجـــــري الأمـــــور علـــــى إرادة مـــــا يشـــــا ... قـــــد قـــــدرت فـــــي ســـــابق الأزمـــــان

فشـــــئون يبـــــديها لنـــــا لا يبتـــــدي ... جـــــل العزيـــــز مـــــدبر الأكـــــوان

فأجابه الشيخ عبدالله بهذه الأبيات:

أهـــــلا بزائـــــرة وفـــــت موعودهـــــا ... وشـــــفت غليـــــل متـــــيم حـــــران

جـــــاءت تهـــــادى فـــــي غلائـــــل ســـــندس ... تمشـــــي الهـــــوينى مشـــــية الســـــكران

كالشـــــمس حســـــنا والغـــــزال ملاحـــــة ... والبـــــان فـــــي تـــــرف وفـــــرط ليـــــان

قالـــــت تعـــــز عـــــن المـــــآلف كلهـــــا ... يبقـــــى ا لإلـــــه وكـــــل شـــــيء فـــــان

عنـــــدي ريـــــاض الحســـــن منـــــي فـــــاقتطف ... ماشـــــيت مـــــن ورد ومـــــن رمـــــان

وإذا ظمئـــــت فمـــــورد مســـــتعذب ... وإذا جنيـــــت فكـــــل عصـــــن دان

واســـــمع عليهـــــا كـــــل نغمـــــة ســـــاجع ... يصـــــف الغـــــرام بـــــألطف الألحـــــان

وتلـــــق مـــــن تلقائهـــــا ريـــــح الصـــــبا ... تنشـــــر عليـــــك روائـــــح الريحـــــان

وتفـــــي بـــــرد ظلالهـــــا وتـــــرو صفـــــو زلالهـــــا لا تخـــــش مـــــن ديـــــان

مثلـــــي لمثلـــــك يـــــا مشـــــوق مراتـــــع ... طابـــــت مجانيهـــــا وطـــــاب الجـــــاني

فـــــاقنع بوصـــــلي عـــــن ســـــعاد ومـــــريم ... والعامريـــــة ربـــــة الفتيـــــان

يـــــا بنـــــت عشـــــر أنـــــت أبلـــــغ مـــــن مضـــــى ... أبلغـــــت فـــــي وعظـــــي وفـــــي ســـــلواني

إن كنـــــت صـــــادقة بمـــــا حـــــدثتني ... فلســـــوف ألقـــــى فـــــي يـــــديك عنـــــاني

الجزء الخامس: مراسلته مع عبدالمحسن بن عبدالعزيز الباهلي

كتب إليه عبد المحسن بن عبد العزيز الباهلي، يعزيه في واقعة الرضاع:

ســـــلامي قبـــــل مـــــا أبـــــدي مقـــــالي ... عليـــــك وإن قلبـــــي فـــــي اشـــــتعال

أخـــــي كـــــم ذا التأســـــف والتشـــــكي ... وروم الـــــنفس إدراك المحـــــال

أئـــــن رحـــــل الحبيـــــب وعـــــز وصـــــلا ... وأرخـــــى ســـــتره فـــــوق الحجـــــال

ولـــــو كـــــان الرجـــــوع بهـــــا قريبـــــاً ... فكيـــــف ولا رجـــــوع بكـــــل حـــــال

فســـــل الـــــنفس عنهـــــا يـــــا ابـــــن ودي ... فـــــإن فؤادهـــــا لا بـــــد ســـــال

فعوضـــــــــك الإلـــــــــه بعيـــــــد هـــــــذا ... محجبـــــــــة حصـــــــــانا فـــــــي كمـــــــال

ممنعـــــــــة أمـــــــــون الســـــــــر نجـــــــــلا ... عروبـــــــــا غـــــــــادة مـــــــــن خيـــــــــر آل

منعمـــــــــــة ودودا فـــــــــــي حيـــــــــــاء ... وديـــــــــن صـــــــــالح والجيـــــــــد حـــــــــال

يريـــــــك الوجـــــــه منهـــــــا ضـــــــوء شـــــــمس ... وحالـــــــك فرعهـــــــا يحكـــــــي الليـــــــالي

تقـــــــر بقربهـــــــا مـــــــا دمـــــــت حيـــــــا ... وتنـــــــتج ســـــــالما رهـــــــط الرجـــــــال

وعـــــــش أبـــــــداً بغيـــــــر أســـــــى وحـــــــزنٍ ... معـــــــافىً فـــــــي منـــــــاك مـــــــن اغتيـــــــال

وإن تحيتـــــــــــي تتلـــــــــــو ســـــــــــلاماً ... إلـــــــى شـــــــيخ المشـــــــايخ ذي المعـــــــالي

أبـــــــوك علـــــــى عـــــــالي القـــــــدر حبـــــــر ... كـــــــريم الأصـــــــل محمـــــــود الفعـــــــال

وتتبـــــــع ذا صـــــــلاة مـــــــع ســـــــلامٍ ... وتســـــــليم يـــــــدوم بـــــــلا انفصـــــــال

علـــــــى المختـــــــار مـــــــن كـــــــل البرايـــــــا ... وهـــــــادي العـــــــالمين مـــــــن الضـــــــلال

شـــــــفيع النـــــــاس فـــــــي يـــــــوم مهـــــــول ... تهـــــــد لهولـــــــه شـــــــم الجبـــــــال

وآل نبينـــــــا مـــــــع خيـــــــر صـــــــحبٍ ... وقـــــــافي نهجهـــــــم مـــــــن كـــــــل تـــــــال

فأجابه الشيخ عبدالله:

معـــــــــاذ الله أشـــــــــكو أو أبـــــــــالى ... بغيـــــــر هـــــــواك يـــــــا أخـــــــت الغـــــــزال

يحـــــــن إلـــــــى ظبـــــــاء ربـــــــا ســـــــليمى ... فـــــــؤادي فهـــــــو عنهـــــــا غيـــــــر ســـــــال

تبـــــــدت لـــــــي مهـــــــاة الســـــــري يومـــــــاً ... عليهـــــــا زي ربـــــــات ججـــــــال

تمشـــــــى فـــــــي لبـــــــاس سندســـــــي ... تجـــــــر فضـــــــوله جـــــــر اختيـــــــال

فأبـــــــدت لـــــــي ملاطفـــــــة وفضـــــــت ... خـــــــواتيم العقيـــــــق عـــــــن اللآلـــــــي

وقالـــــــت لـــــــي إلـــــــى كـــــــم ذا التشـــــــكي ... وروم الـــــــــــــــــــنفس إدراك المحـــــــــــــــــــال

ألا تصـــــــــبو إلـــــــى وجهـــــــي وتغنـــــــى ... بوصـــــــــل عـــــــن ســـــــعاد والـــــــدلال

وترتـــــــع فـــــــي ريـــــــاض الحســـــــن منـــــــي ... وتجنـــــــي مـــــــن جناهـــــــا كـــــــل حـــــــال

وتســـــــمع كـــــــل ســـــــاجعة تغنـــــــي ... علـــــــى طـــــــرب بآثـــــــار الجمـــــــال

أشـــــــرت إليـــــــك فاســـــــمع يـــــــا معنـــــــي ... فأنـــــــت اليـــــــوم حقـــــــا مـــــــن رجـــــــالي

ســـــــيبرد قلبـــــــك الحـــــــران ظلمـــــــي ... ويـــــــروي شـــــــوقك الظـــــــامي زلالـــــــي

عجبـــــــت لهـــــــا تنشـــــــا فـــــــي حلاهـــــــا ... وتنطـــــــق نطـــــــق ســـــــحبان المقـــــــال

خليلـــــــي لا عـــــــدمتك فـــــــي زمـــــــاني ... فأنـــــــت اليـــــــوم معـــــــدوم المثـــــــال

قـــــــدمت قـــــــدوم ميمـــــــون المســـــــاعي ... تجـــــــر فضـــــــول أذيـــــــال طـــــــوال

ســـــــلامي مثلمـــــــا فاحـــــــت عبيـــــــر ... بعـــــــرف المســـــــك مـــــــن أردان غـــــــال

أرانـــــــي قـــــــد أســـــــأت وثـــــــم عـــــــذر ... فقـــــــابلني بصـــــــفح واحتمـــــــال

وددت وجـــــــامع الأشـــــــباح أنـــــــي ... لقيتـــــــك قبـــــــل لقيـــــــام الخيـــــــال

ولكـــــــن كـــــــان حســـــــبي منـــــــك أنـــــــي ... وصـــــــلت بحبلـــــــك الأقـــــــوى حبـــــــالي

خيـــــــالا طيفنـــــــا لمـــــــا يـــــــزالا ... بمجتمـــــــع الهنـــــــا طـــــــول الليـــــــالي

فهـــــــذا يـــــــا صـــــــفي الـــــــنفس واعلـــــــم ... بـــــــأني لـــــــم أضـــــــق ذرعـــــــاً بحـــــــالي

ومـــــــا لـــــــي حالـــــــة أرجـــــــو بقاهـــــــا ... ســـــــوى التشـــــــمير فـــــــي طلـــــــب المعـــــــالي

ومـــــــا آســـــــى علـــــــى شـــــــيء تـــــــولى ... وهـــــــل آســـــــى علـــــــى خلعـــــــي نعـــــــالي

نظـــــــرت فلـــــــم أجـــــــد شـــــــيئا بعينـــــــي ... مـــــــن الـــــــدنيا يزيـــــــد علـــــــى خـــــــلال

وألسنة العوالم ناطقات بأن مصيرهن إلى الزوال

وأن جميعها لابد يفنى ويبقى وجه ربي ذي الجلال

الجزء السادس: مراسلته مع الشيخ راشد بن الشيخ عبداللطيف آل مبارك

لما سافر الشيخ راشد بن عبداللطيف آل الشيخ مبارك إلى الزبير كتب له الشيخ عبدالله رسالة صدرها بأبيات يقول فيها:

سقى الله الزبير وحاضريه ملثا للغبيشيات ساقي

ففي تلك الديار حياة أنسي ومبتهجي ومنعرج اشتياقي

ألا يا نسمة الأرواح هاتي أحاديث الحبيب من العراق

جزعت من الفراق فهاك روحي ونـاولني البشارة بالتلاقي

وكأس في عجيبة مستلذ وآخر بالفدا حلو المذاق

فكتب الشيخ راشد جواباً، يقول فيه:

ألا قل لمن شد الرحال لأجلنا ولم يلتفت نحو التنزه والشجر

ولكن دعا داعي الهوى فأجابه سريعا يجوب السهل من ذاك والوعر

إلى أن أناخ الرحل حول فنائنا وأقبل يسعى مع نديميه كالقمر

وماذا عليه لو أناخ قلوصه بربع مواليه الموالين من غرر

فأضحت به الأرجاء تزهو نضارة وطاب به أنس المحبين والسمر

فقال لسان الحال في الحال منشدا على الرحب منا أنتم السمع والبصر

لك الفضل إن زرناك أو أنت زرتنا ولكن مسعانا ومسعاك بالقدر

وقـــد طبـــت طفـــلا منـــذ نشـــأت ويافعـــا ... ونلـــت مـــن المجـــد القـــدامى علـــى صـــغر

وقـــد بعـــت مـــن ذا الـــدهر أعظـــم مشـــترى ... وحـــزت مـــن العليـــاء أفضـــل مـــدخر

فألفيـــت فـــردا مفـــردا لا معـــززاً

فجـــدد عـــرى ودي بوصـــلك دائمـــا ... فـــلا طيـــب للأشـــجار إلا مـــع الثمـــر

ودم وابـــق واســـلم لا برحـــت مشـــيدا ... منـــار المعـــالي آمـــن العـــدم والخطـــر

وأرجـــو إلهـــي أن يبلغنـــي الـــذي ... أريـــد ويطفـــي مـــا بقلبـــي مـــن شـــرر

وهنا نُقدّم لكم نموج من نثر الشيخ عبدالله بن علي، وهي جزء من رسالة كتبها إلى الشيخ راشد بن عبداللطيف، يقول فيها:
"أطال الله بقاكم إني منذ أزمعتم السفر وسرتم كما سار في أفلاكه القمر، وقيدتني أيدي الأقدار عن الانتظام في سلك المعية والانجرار بالتبعية، وبقيت بعد بعدكم كالهائم الحيران تتلاعب بي الأشجان، قد تنكرت على المعالم والرسوم، واقتسمتني بأنواعها الهموم. كيف لا ! والقلب قد سار على إثركم يقتضي الآثار والجسم مرتهن في أيدي البين المتاح فهو كالبازي قص منه الجناح، إذا هبت بنشركم الأرواح استنشقها الصب فطرب وارتاح كما يرتاح شارب الراح...."

الجزء السابع: مراسلاته مع العلّامة الشيخ عبدالله بن أبي بكر الملا

قال الشيخ عبدالله بن علي مادحاً الشيخ عبدالله بن أبي بكر الملا، ومعزياً له في بعض أقاربه:

ألا زمـــــن يبلغنـــــي مـــــرادي ... ويســـــعدني بيـــــوم مـــــن ســـــعاد

خليلـــــي لا بصـــــرتك فـــــي ثيـــــابي ... أســـــيراً مـــــا لـــــه فـــــي النـــــاس فـــــاد

ألا يـــــا ظبيـــــة بالبـــــان ترعـــــى ... أمـــــا قـــــد آن أن ترعـــــى فـــــؤادي

رمتنـــــي مـــــن لواحظهـــــا بنصـــــل ... تصـــــول بـــــه علـــــى الأســـــد الـــــوراد

كـــــأن لحاظهـــــا فـــــي ســـــلب عقلـــــي ... ســـــلاف عتقـــــت مـــــن عهـــــد عـــــاد

ومـــــا ذنبـــــي ســـــوى قلبـــــي فـــــدعها ... تقلبـــــه علـــــى شـــــوك القتـــــاد

لعمـــــــــرك إننـــــــــي يـــــــــوم التقينـــــــــا ... علـــــــى ظمـــــــا أعـــــــف مـــــــن الجمـــــــاد

ولـــــــم يطـــــــب الهـــــــوى إلا لعـــــــف ... يصـــــــد عـــــــن المـــــــوارد وهـــــــو صـــــــاد

ألا يـــــــا لائمـــــــي دع عنـــــــك لـــــــومي ... فـــــــإني مـــــــن هواهـــــــا فـــــــي ازديـــــــاد

ومـــــــالي مـــــــن هواهـــــــا غيـــــــر أنـــــــي ... أهـــــــيم بـــــــذكرها فـــــــي كـــــــل واد

وألـــــــتمس القفـــــــار مـــــــن الأراضـــــــي ... لعلـــــــي باســـــــمها فيهـــــــا أنـــــــادي

أنـــــــادي جهـــــــرة حتـــــــى كـــــــأني ... مـــــــن النجـــــــوى قريـــــــب فـــــــي بعـــــــاد

ســـــــلكت لهـــــــا صـــــــراطا مســـــــتقيما ... علـــــــى آثـــــــار أقـــــــدام العبـــــــاد

عبـــــــاد يقطعـــــــون الوقـــــــت ســـــــيراً ... إلـــــــى أن شـــــــارفوا شـــــــرف المـــــــراد

وفـــــــازوا بالســـــــباق فكـــــــل ســـــــار ... علـــــــى آثـــــــارهم يهديـــــــه هـــــــاد

لهـــــــم فـــــــي الـــــــذكر ذكـــــــر لـــــــيس يبلـــــــى ... لمـــــــن يتلـــــــوا بســـــــبق واقتصـــــــاد

هـــــــم كـــــــانوا نجومـــــــاً فـــــــي الـــــــدياجي ... وهـــــــم كـــــــانوا رجومـــــــاً للأعـــــــادى

يكـــــــاد الـــــــدهر يخفـــــــيهم وتـــــــأبى ... بـــــــدور الـــــــتم أن تخفـــــــى بنـــــــاد

لنـــــــا مـــــــن ســـــــلكهم قطـــــــب رفيـــــــع ... عليـــــــه مـــــــدار أقطـــــــار الـــــــبلاد

يـــــــدير الكـــــــأس فينـــــــا كـــــــل حـــــــين ... فيطفـــــــي حـــــــر أكبـــــــاد صـــــــواد

شـــــــراب يبعـــــــث الأشـــــــباح حتـــــــى ... تـــــــديم الســـــــير أو ترثـــــــي لحـــــــاد

شـــــــراب يـــــــنهض الأرواح حتـــــــى ... ســـــــمت صـــــــعداً علـــــــى الســـــــبع الشـــــــداد

ويوقـــــــد للقـــــــرى نـــــــاراً ضـــــــياها ... تقـــــــدس أن يحـــــــور إلـــــــى رمـــــــاد

هـــــــي النـــــــار التـــــــي أوفـــــــى ســـــــناها ... علـــــــى الأغـــــــوار طـــــــرا والنجـــــــاد

فكم من حائر أوفى إليها ... فتهديه إلى سبل الرشاد

ومغرور أتاها يصطليها ... فنودي بالمنى جل المنادي

هو القمر المنير إذا تجلى ... على قلب جلاه من سواد

وسلطان الحقيقة لا يمارى ... وبرهان الطريقة فهو باد

يجدد رسمها من بعد ما قد ... عفت آثاره أيدي العوادي

ووارث سيد الكونين طرا ... رسول الله من منه المبادي

عماد الدين والدنيا جميعاً ... وهل بيت يقوم بلا عماد

أبو البركات عبد الله دامت ... على نعمائه ديم العهاد

أبو بكر أبوه أبو المعالي ... بنى الملا رجال الاجتهاد

لقد حازت بهم هجر فخاراً ... على الدنيا قراها والبوادي

إليكم فاقبلوا يا أهل ودي ... وسائل خالصات من ودادي

ألا يا نجله الميمون كن لي ... شفيعاً عند والدك الجواد

ليوجد لي فؤادا ضاع مني ... أسائل رائحاً عنه وغاد

ويشهد في الجليلة من وجودي ... ويجمع شمل فرقي باتحاد

عسى لي نظرة منه فأفنى ... لعلي أستريح من الجهاد

فهذا يا ابن سيدنا مرادي ... وأنتم سادتي أهل الأيادي

وإني عبد رق في هواكم ... بأفعالي وأقوال اعتقادي

وإني سادتي لكم ومنكم ... خذوا بيدي تروا حسن انقيادي

ومـــــــا ألهـــــــب الأحشـــــــاء خطـــــــب ... ألـــــــم بكـــــــم فقلبـــــــي فـــــــي اتقـــــــاد

غـــــــداة غـــــــدا أبـــــــو بكـــــــر شـــــــهيداً ... لـــــــه نـــــــزل ألـــــــذ مـــــــن الشـــــــهاد

قضـــــــى الأوطـــــــار مـــــــن حضـــــــرات قـــــــدس ... وأوفـــــــى نـــــــذره ومضـــــــى بـــــــزاد

وهـــــــذا منتهـــــــى الأحيـــــــا فطـــــــوبى ... لمـــــــن يمضـــــــى علـــــــى نهـــــــج الســـــــداد

فـــــــأعظم أجـــــــركم فيـــــــه إلهـــــــي ... ونعمـــــــه علـــــــى بـــــــرد المهـــــــاد

وصـــــــلى ربنـــــــا الـــــــرحمن حقـــــــا ... علـــــــى مـــــــولى الشـــــــفاعة فـــــــي المعـــــــاد

كـــــــذاك الآل والأصـــــــحاب طـــــــرا ... وتـــــــابعهم إلـــــــى يـــــــوم التنـــــــادي

وهذه أبيات كتبها الشيخ عبدالله بن علي إلى الشيخ عبدالله بن أبي بكر يمدح فيها بلدة الكوت، يقول الشيخ المؤرخ محمد بن عبدالله عن هذه المناسبة: "الكوت هي أصل مدائن الأحساء، وفيها مركز الحكم، ومسكن الملوك والعلماء، وكان منهم العالم الجليل والحبر النبيل الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن محمد الملا الحنفي، وكان شيخاً للشيخ عبدالله المذكور، وكان بعض العلماء ذهب في تأويل البيت الأخير (من قصيدة المبرز) إلى غير ما أراده الشيخ عبدالله، فوشى به عند شيخه الملا فكأنه وجد عليه، فأرسل له الشيخ عبدالله معتذراً به، مما وشى به بعضهم، عفى الله عنه":

إنـــــي ومـــــن عنـــــت الوجـــــوده لوجهـــــه ... وســـــعت لـــــه مـــــا بـــــين مـــــروة والصـــــفا

وتخضـــــــعت بـــــــين الحطـــــــيم وزمـــــــزم ... شـــــــعث النواصـــــــي لا تقـــــــيم علـــــــى شـــــــفا

مـــــا قلـــــت مـــــا قـــــد قلـــــت إلا مادحـــــا ... للكـــــوت مـــــا فـــــي ذا علـــــى فهـــــم خفـــــا

ديـــــن أديـــــن بمدحـــــه ممـــــا حـــــوى ... مـــــن بهجـــــة التقـــــوى وإشـــــراق الصـــــفا

هـــــو مركـــــز الأحســـــا إليـــــه المنتهـــــى ... فـــــي الـــــدين والـــــدنيا ودع مـــــن حرفـــــا

قطـــــب تـــــدور عليـــــه أســـــرار الألـــــى ... شـــــربوا مـــــن الكـــــاس اللـــــدني مـــــا صـــــفا

وبـــــه لقلبـــــي معهـــــد أشـــــتاقه ... مـــــا زاغ قلبـــــي عـــــن قـــــواه ومـــــا اكتفـــــى

يـــــا رب وقـــــت مـــــر لـــــي فـــــي ظلـــــه ... مـــــا كـــــان ســـــيفا بـــــل نعيمـــــا قـــــد ضـــــفا

مـــــــا هبـــــــت الأرواح مـــــــن تلقائـــــــه ... إلا شـــــــكوت لهـــــــا فـــــــأعطتني شـــــــفا

لكننـــــــي راعيـــــــت حرمـــــــة مولـــــــدي ... وذمامـــــــه ورأيـــــــت ذاك مـــــــن الوفـــــــا

هـــــــذا مـــــــرادي فالـــــــذي قـــــــد قلتـــــــه ... يـــــــا ســـــــيدي وعلـــــــى ذوي الجهـــــــل العفـــــــا

والله يغفـــــــر لـــــــي ويغفـــــــر لامـــــــريء ... قـــــــد ســـــــاء بـــــــي ظنـــــــا ولـــــــو شـــــــا أنصـــــــفا

طـــــــب ســـــــيدي نفســـــــا ووقـــــــع بالرضـــــــا ... فـــــــي قصـــــــتي كرمـــــــا بـــــــرب المصـــــــطفى

صـــــــلى عليـــــــه الله والأمـــــــلاك والـــــــ ... أفـــــــلاك مـــــــا غفـــــــر الـــــــذنوب ومـــــــا عفـــــــا